Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإبهام...[١١] وقال الجاحظ كلاماً قريباً من هذا: «وأحسنُ الكلام ما كانَ قليلُهُ يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان اللهُ عزَّ وجلَّ قد ألبسه من الجلالة وغشّاه من نور الحكمة على حَسَب نية صاحبه وتَقْوَى قائِلِهِ. فإذا كان المعنى شريفاً، واللفظُ بليغاً، وكان صحيحَ الطّبع، بعيداً من الاستِكراه، ومنزّهاً عن الاختلال، مصوناً عن التكلّف، صَنَعَ في القلب صنيعَ الغيثِ في التربةِ الكريمةِ. ومتى فصلت الكلمةُ عن هذه الشريطة، ونفذتْ من قائلها على هذه الصِّفة، أَصْحَبَها اللهُ من التوفيق، ومَنَحَها من التأييد ما لا يمتنعُ من تعظيمها به صدورُ الجبابرة، ولا يذهَل عن فهمها عقولُ الجَهَلَة».[١٢] ومعنى هذا أن الجاحظ يشترط في الكلام الحسن الإيجاز والوضوح، وشرف المعنى واللفظ، والبعد عن التكلّف والاختلال. ويقول الجرجاني محدداً معنى حسن الكلام: «ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها... غير وصف الكلام بحسن الدلالة، وتمامها فيما له كانت دلالة، ثم تبرّجها في صورة هي أبهى وأزين، وآنق وأعجب، وأحق بأن تستولي على هوى النفس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب... ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، ويختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلاً، ويظهر فيه مزية».[١٣] أي أن الكلام الجيد يجب أن يكون حسن الدلالة، مزيَّناً، أنيقاً، يستميل القلوب، ويؤدي المعنى جيداً بلفظ جيد مناسب.

ويربط أبو هلال العسكري الفصاحة بالإيضاح والإبانة. يقول: «فأما الفصاحة فقد قال قوم إنها من قولهم أفصح فلان عما في نفسه إذا أظهره، والشاهد على أنها هي الإظهار قول العرب: أفصح الصبح إذا أضاء، وأفصح اللبن إذا انجلت عنه رغوته. فظهر وفصح أيضاً، وأفصح الأعجمي إذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبين، وفصح اللحان إذا

---

(١١) المصدر نفسه، ١/٨٢ ـ ٨٤

(١٢) الجاحظ، البيان والتبيين، الشركة اللبنانية للكتاب، ١٩٦٨، ص ٥٨

(١٣) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، بيروت دار المعرفة، ١٩٧٨، ص ٣٥